

أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي
بالحجاز في عصر ما قبل الإسلام

د/رشاد محمود بغدادى

قسم التاريخ الإسلامى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى



تعتبر بلاد الحجاز^(١)، من المناطق الهامة في شبه الجزيرة العربية، من الناحيتين الدينية والاقتصادية، وليس من شك في أن مكة المكرمة، أهم مواضع الحضر في الحجاز على الإطلاق، كما أنه علي الرغم وجود "بيوت العبادة"^(٢) في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، فإن واحدا منها لم يجتمع له ما اجتمع لبيت الحرام في مكة، ذلك لأن مكة كانت ملتقى القوافل بين الجنوب و الشمال، وبين الشرق و الغرب، و كانت لازمة لمن يحمل تجارة اليمن إلى الشام، ولمن يعود من الشام بتجارة يحملها إلى شواطئ الجنوب، و كانت القبائل تلوذ منها بمثابة مطروقة تتردد عليها، و لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل في باديتها أو في رحلتها، فليست في مكة دولة كدولة التبابعة في اليمن، أو المناذرة في الحيرة، أو الغساسنة في الشام، وليس من وراء أسحلاب الرئاسة فيها سلطان كسلطان الروم أو الفرس أو الأحباش، أو الإمارات والدويلات العربية المتفرقة على الشواطئ أو بين بوادي الصحراء، وإنما كانت مكة بمثابة عبادة و زعامة تجارية^(٣)، ولا شك أن مدن الحجاز، وخاصة مكة المكرمة، كانت كجزء من بلاد العرب، استقبلت هجرات سابقة تعدد فيها أنواع المهاجرين من عناصر بشرية تعددا لايمتطيع تعيينه، وتاريخ مكة بدءا من بني إسماعيل و حتى عهد قصي بن كلاب^(٤)، غامض غموضا شديدا، و لا يعرف حتى المؤرخون العرب كيف يملأون فراغ هذه القرون الطويلة^(٥)، لأن المصادر التي توسعت في ذلك لا يمكن التسليم بما كتبت تسليما قاطعا، ولا تيزغ شمسهم مشبعة بالغيوم - فوق أفق التاريخ الحقيقي، إلا من

(١) عبد المحسن الصليبي: "الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب"، كما تصورها المصادر العربية"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلدان السادس والسبع، ١٩٥٢ - ١٩٥٣، ص ١١٤ - ١٢٨.

(٢) انظر عن هذه البيوت: بقوت ٢٢٨/١، ٢٢٧/٣، ٢٩٤/٤ - ٢٩٥، ٢٦٨/٥ - ٢٦٩، وكذا الأضلع من ٢٨.

(٣) عليان مصود الحقاد: مطلق للور - أو طوابع البنتا المصنوعة، دار الهلال، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٣٤ - ١٣٥. وكذا محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، مطبعة لثنية، ليربض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٢٩١ - ٤١٦.

(٤) ابن الأثير: لتكامل في التاريخ ٢٢/٢ وكذا السعدي: مروج الذهب ٣١/٢.

(٥) لحد مصود صلبون: مكة المكرمة، أساطرها وتاريخها، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ٥٩ - ٨٤.

عهد قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي، و لقد تركت لنا مصادر التاريخ أخبارا لا تخلو من الغموض و الاضطراب عن القبائل التي سكنت مكة وبقية بلاد الحجاز ، و لعل أقدم هذه القبائل ، تلك المعروفة بالعماليق ^(١) ، حيث ينسبهم الإخباريون إلى "عمليق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح" ^(٢) ، ويبدو أن العماليق دفعت بموجات من القبائل، التي امتدت في بلاد الحجاز، دون أن تقتصر على مكة فقط، بل يثرب (المدينة المنورة) و باقي من الحجاز، و أنهم قد عاشوا في الأرض فسادا ^(٣) .

تسامعت جرم ^(٤) بخير تفجر بئر زمزم، و لزم الطير الوادي، حيث رأت الماء، واما كانت جرم تسكن على مسافة قصيرة من مكة، فقد استأندت لتنتقل ببيوتها حول البئر، و التي تولى مضاض الجرهمي أمر الحرم بعد ذلك، و أبناء إسماعيل مع أحوالهم لا يرون أن ينازعوهم الأمر، لخولتهم و قرابتهم، و إعظاما للحرمة أن يكون بها يفي أو قتال، إلى أن قدمت قبائل الأزد مهاجرة من جنوب عربي شبه الجزيرة العربية، في فترة لا نستطيع تحديدها على وجه اليقين، و نازعت واحدة من هذه القبائل (خزاعة) جرم أمر البيت في مكة ^(٥) ، حيث

^(١) يبلغ الإخباريون في أصبة العماليق وسمة يتشارفهم بدرجة لا يمكن أن يقبلها منطق أو يفهما عقل ، فيجملونهم لما كثيرة تفرقت في البلاد فكان منهم أهل صن والحجاز والشام ومصر ، فضلا عن أهل المدينة ونيو هب وبلو مطر ونيو الزرق وسعد بن زهران، وأهل نجد ، وبيد وريط و غفار و تيماء ، هذا إلى جانب شعبة منهم ذهبت إلى صنعاء قبل أن تحمل الأخيرة اسمها هذا ، وأخيرا فقد كان منهم للجيرة بالشام - وهم الكتميون - والتراعين بمصر ، والأرقم ملك الحجاز بتيماء . انظر :
لهذهذا : الإكليل ٧٤١/١-٧٧٧، تاريخ الطبري ٢٠٧/١ ، نهاية الأرب للقفندي ص ١٤٤ ، جواد علي ١٣٤٦/١ ، محمد بيومي
مهران : المرجع السابق ، ص ١٧٦-١٧٧ .

^(٢) لهذهذا : الإكليل ٤١٠/٢ ، تاريخ الطبري ٢٠٧/١ ، المعروف : ص ٢٧ .

^(٣) ابن رسته : الإعلاق التنصية ، ص ٦٠ وما بعدها .

^(٤) ينظر الإخباريون في جرم على أنهم طيقتان الوالدة من العرب البتة وكانت في مكة المكرمة ، على عهد عاد وثمود والعماليق ، ثم أيدت بلدى للتحطيين ، والأخرى من جرم بن فطان بن هود ، وقد كفروا أصيلا لإسماعيل عليه السلام . انظر :
لهذهذا : الإكليل ٢٨١/١ ، ١٦٦ ، نهاية الأرب للقفندي ص ١٩٦ ، المعروف ص ٣٤ ، تاريخ الطبري ٢٥٦/١ ، ٣٦٤ ، سعد زغول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ - ١٢٩ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

^(٥) لعهد المصاعى : تاريخ مكة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة للثقافة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٨ - ١٩ . انظر عن خزاعة وأسولها : القلي : نساء القران ٧١/٢ - ٨١ ، حسين مؤنس : تاريخ قريش ، القدر العمومية للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٧٥-٧٦ .

انتهى أمر مكة بعد فترة إلى عمرو بن لحي الخزاعي (١) .

يتضح لنا أن مكة، كانت هدفاً رئيسياً لتلك الهجرات إليها، وذلك لما تتمتع به كموقع جغرافي سببا في أن يجعل من المدينة المقعدة عقدة تتجمع فيها القوافل، فضلا عن السيطرة على طرق القوافل (٢) .

يعطي الباحث هنا لمحة موجزة عن الطرق التجارية البرية القديمة (٣) ، والتي كانت بطول شبه الجزيرة العربية و عرضها، أما للطولية، فأهمها الطريق الجنوبي الشمالي، والذي يطلق عليه أحيانا "الطريق التجاري العظيم" ، و أحيانا أخرى " طريق البخور الذهب" . و هو الطريق الموازي تقريبا للبحر الأحمر من أقصى الجنوب (٤) ، حيث يبدأ في الواقع من عدن و قفا و مأرب، حيث تجارة البخور، ثم يتجه إلى نجران، فالطائف ماراً بمكة، ثم يتجه إلى يثرب و خيبر ثم الحجر (مدائن صالح) و منها إلى إيلة (العقبة)، ثم بعد ذلك إلى البتراء ، حيث

(١) ساد قرمه في مكة المكرمة ، و قد بلغ في مكة من الشرف ولم يبلغه عربي قبله ، وكان أول من لحق الحاج بمكة مذبح الأهل ولحقها على التردد ، و عم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة آلاف من برد الفين ، وكان قوله لهم دينا متبعا لا يخلف و أنه كان أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ، ف نصب الأوثان ، و بحر البحرة و سبب السقاية ، و وصل الوصولة ، و حصى لحصى .
نظر :

الإسنام ، ص ١٨٠ من مشام ١٧٨/١ البخوري ٢١١/١ السعدي : مروج الذهب ٢٩/٢ - ٣٠ ، لحد الشاعبي : المرجع السابق ، ص ١٢٢ و كذا أحمد محمود صابون : مرجع السابق ، ص ٧٢-٧٨ .

(٢) Watt W. M., Muhammad at Mecca, Oxford, 1953, p.3.

(٣) لمزيد من التفاصيل - نظر :

جواد علي ٣١٧/٧ - ٣٦٤ وكذا

منذر فكري : " العرب و التجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني " ، العرند ، الحد ٤ ، السنة الثالثة

١٣٤٠هـ / ١٩٢٠م ، ص ٤٨ - ١٠٤ وكذا

رضا جواد الهتمي : " تجارة القوافل في الخليج العربي " ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، معهد البحوث و الدراسات

العربية ، بغداد ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م ص ٧-٢٨ وكذا

لصان عيسى : " العلاقات التجارية بين مكة و الشام حتى بداية فتح الإسلام " ، مجلة الأبحاث ، السنة ٢٨ ، جامعة لأمريكية ،

بيروت ١٩٩٠ ، ص ٢-٤٠ .

(٤) لقد كان الطريق البري هذا أقدم وأهم من الطريق البحري ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى علمين أولهما ، أن العرب بطبيعتهم

كثروا ، و بالدرجة الأولى ، تجار بر ، لا تجار بحر ، وثانيهما ، عدم صلاحية قسطنطينة الأسيوية للبحر الأحمر لتحميل المراكب عليه

بالنسبة للسلطان الأيوبي ، ولذلك لا نجد الإسماعيلية ولحا شقيق كميناء عربي قديم وهو ميناء "موزا" (مخا الحالي تقريبا) . نظر :

عبدالمعظم عبدالحليم سيد : " البخور حسب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة " ، مجلة كلية الآداب و العلوم الأنسانية ،

جامعة الملك عبدالمعز ، المجلد الثاني ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٥٧ .

يتفرع الطريق هنا إلى فرعين ، أحدهما إلى تكمر في الشمال ، والآخر إلى الغرب مع ميل طفيف إلى الشمال الغربي ، حتى يصل إلى غيزة (١) .

أما العرضية ، فقد عرفت شبه الجزيرة العربية أربعة منها ، على الأقل ، (الأولى) منها ، الطريق ، الذي يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية ، وخاصة حضرموت ومنطقة عمان ، حيث يبدأ من الخارج متجها شمالاً بغرب ماراً بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد ، فمنها بعدئذ ، إما إلى الشمال في اتجاه العراق ، وإما إلى بادية الشام (٢) . أما (الثاني) ، فينطلق من القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، بدءاً من مأرب ، ومنها إلى نجران ثم شمالاً شرقياً في وادي الدواسر ، حيث يمر بقرية الفلوة ، ومن هناك يتجه الطريق إلى الأفلاج فاليمامة ، أو عن طريق واحة بئرين - على مبعدة ٣٠٠ كيلومتر ، جنوب غرب الهفوف - ثم واحة الهفوف ، فهجر ، على ساحل الخليج العربي (٣) . أما (الثالث) ، يخترق شبه الجزيرة العربية عرضاً ، بدءاً من مكة وينتهي إلى وادي الرافدين . غير أنه في وسط المسافة تقريباً ، عند حائل ، يتفرع الطريق إلى فرعين في هذا الاتجاه ، أحدهما يصل إلى مصب الفرات ، والآخر يصل إلى بابل (٤) . أما (الأخير) ، فقد كان عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي ، ويبدأ من منطقة حضرموت وعمان متجها إلى منطقة اليمامة ، صاعداً إلى بلاد الشام أو العراق ، حيث يلتقى بالطريق الشرقي ويفرع الطريق الغربي (٥) .

لقد زادت أهمية مكة وقيمتها التجارية ، إن اليمن - بعد الاحتلال الحبشي في ٥٢٥ م - لم تنجح في سد الفراغ الذي تركته البحرية الرومية ، ربما

خطه

(١) لطفي عدلوهب يحيى : العرب في المصور لتتمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٣١٤ .

(٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٤) غير أن هذا الفرع الأخير ، أصبح طريقاً رئيسياً للحج والتجارة في العصر الإسلامي تحت لم نرب زبيدة* والذي يصل الى المتحف بجولي بابل ، ولكن يبدو مؤكداً أنه كان موجوداً ومستخدماً قبل ظهور الإسلام . انظر :

لطفي عدلوهب يحيى : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(٥) عبد الرحمن الأقسري : "لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية" ، مجلة الدارة ، العدد الأول

١٢٦٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٨٧ .

لظروف جغرافية أكثر منها سياسية، ثم فقد أصبح الطريق البري - عبر تهامة والحجاز - هو الطريق المفتوح أمام التجارة ، وكان لابد - بعد زوال النشاط اليمنى - أن يوجد من يسد هذا الفراغ ويقوم بدور الوسيط المحايد بين المتنازعين ، لنقل التجارة . وقد جاء هذا الوسيط ممثلاً في مكة ، التي حظيت منذ منتصف القرن الخامس الميلادي ، بمكانة ممتازة بين عرب الشمال ، فضلاً عن طرفي الصراع الدولي (الفرس والروم) وقت ذلك ، وساعد على ذلك رغبة الفريقين المتنازعين في وجود مثل هذا الوسيط المحايد من ناحية ، وبعده مكة وصعوبة الوصول إليها من ناحية أخرى (١).

ظل أمر مكة في يد عمرو بن لحي وولده مدة حكمهم ، حتى آل أمر مكة إلى قصي بن كلاب، وإليه يرجع الفضل في جمع أفراد قريش المبعثرين في نواحي متعددة إلى وادي مكة ، وجعل لكل بطن منهم حيا خاصا على مقربة من الكعبة ، فاستحق بذلك لقب "المجمع" (٢) .

إن قريشا (٣) في انتقالها من البداوة وحياة الظعن إلى الاستقرار والحضارة في مدينة لم تتحول إلى مجتمع مني ، بل حافظت على نظامها القبلي ، التي لم تكن سوى مرحلة أكثر نضجا في مكة ، والتي كان للجراهمة والخزاعيين دور كبير في تحضيرها وتطوير أنظمتها السياسية والاقتصادية . لقد كان للخزاعيين دور بارز في محور التطور لزعامه مكة في بلاد الحجاز ، فقد مثلت الحقبه الخزاعية ، التي كانت من أطول عهود مكة قبل الإسلام (٤) ، الدور التأسيسي الأول في شخصية هذه الأخيرة، التي تبلورت إبان الحقبه القرشية . وعلى الرغم من اشتداد المنافسة على النفوذ في مكة ، فقد صمدت خزاعة طويلا واحتفظت بالزعامه المطلقة ، حتى

(١) كهد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة : ١٩٦٥ ، ص ١٥٤ وكذا محمد بيومي مهران :

المرجع السابق ، ص ٤١٤ وكذا

Huzayyin, S.A., Arabia and the Far East, Cairo, 1942, p.142 f;

Gibbon, E., The Decline and Fall, of the Roman Empire, London, 1950 p.213.

(٢) محمد الطيب النجار: "أنواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام" ، مؤتمر تنمية الحرمين الشريفين ، المركز لعلم الصحاح لشبان المسلمين لعالمية ، القاهرة ٢٣ - ٢٥ ربيع أول ١٤٠٨ هـ / ١٥-١٧ نوفمبر ١٩٨٧ ، ص ٦٣ .

(٣) نظر عن قريش : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٣ .

(٤) ينظرها السعدي بثلاثمائة سنة . نظر مروج الذهب ٢/٣٢ .

انطها إلى قريش ، بعد أن قلدا قصي بن كلاب إلى السلاطة بصعوبة ثم بدأ تلك
 يتزوج من ابنة خليل بن حشبة ، وكليل هو أخو من ولى البيت من خزاعة ،
 فرغب فيه خليل فزوجها ابنة فولدت له عبد اللطيف ، وعبد مناف ، عبد العزى ،
 وعبداً (٢)

فلما انتروا قصي وكثر ماله وعظم شرفه مات خليل ، فرأى قصي أنه
 أولى بالكتابة وزعمته مكة حيث انكث إليه القرعة بصورة شبه وراثية ، ومن ثم
 قد عمل على جمع قومه وأذن لهم أن يتوا بكة بيوتاً ، وأن يسكروها . وقال لهم :
 إنكم أن مكتم الحرم وحول البيت ، طينكم العرب ، ولم تستطع قالكم ولا يستطيع
 لذيترايكم ، فقالوا له أنت سجدنا وورثنا تابع لربك ، فجمعهم حول البيت ، وابتدأ
 هو يقرن طر النقوة (٣)

وقد كانت شجرة القريش في التجارة ومهازلهم فيها ، إلى أن هناك من
 ذهب إلى القول بأن قريشاً ، إنما سجدت كذلك لأحقاقها التجارة (٤) ، لأن القريش
 إنما هو التجارة والاكتساب (٥) ، كما أن رحلتهم لتجارة تكسرت في القران الكريم ،
 حيث يقول سبحانه وتعالى : " لو أن قريش يلاتهم رحمة الله وأنهم لم يجدوا
 رب هذا البيت لآتى السهم من حرج ولأنهم من خوف (٦)

لما لالت (٧) - العجوة القوية من مكة - فقد كان طريقها غليظاً (٨) قيل

(٢) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧٧/١ - الحروب - مرجع القم ١٧١/٢ .

(٣) القريش ١٧١/٢ - وكانت قبائلهم ١٧١ - ١٧٢ - وكانوا يركعون من عرب قريش القريش - القليل في تاريخ ١٧٥/٣ - ١٧٥/٣ - ١٧٥/٣ - ١٧٥/٣ .

(٤) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧١/٢ - مرجع القم ١٧١/٢ .

(٥) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧١/٢ - مرجع القم ١٧١/٢ .

(٦) سورة قريش من القرآن الكريم: " فطقت قسرية بين مكوثنا من ذلك فتح الإسلام هو " .

(٧) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧١/٢ - مرجع القم ١٧١/٢ .

(٨) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧١/٢ - مرجع القم ١٧١/٢ .

(٩) ابن كثير: القليل في تاريخ ١٧١/٢ - مرجع القم ١٧١/٢ .

Osman, R., Rock Inscriptions in the Hijaz, Cairo, 1948, P. 11

ارتباطها بتقيف^(١) المعاصرة لقريش في مكة ، ولكن أخبارا قد لا يرقى كثيرا إلى الموضوعية ، تشير إلى ظهورها في زمن العمالقة ، حيث يذهب الإخباريون إلى أن اسمها القديم " وج " نسبة إلى " وج " أخو " أجا " الذي سمي به أحد جبلى طيء ، وهما من العماليق^(٢) ، على أن هذه المدينة ، التي استمدت قوتها المعنوية من توحيد الثقفيين لها^(٣) ، بعد جهود مستميتة ، قدر لها أن تشغل دوراً غير ثانوي في تاريخ الحجاز ، حيث كانت منذ البدء حلقة لقريش ، وقد كان بين أهل مكة وأهل الطائف تناقض وتحاسد ، حيث حاول أهل الطائف جلب قوافل إليهم ، وجعل مدينتهم مركزا للتجار يستريحون فيه ، وقد نجحوا في مشروعهم هذا بعض النجاح يوم استولى الفرص على اليمن ، وتمكنوا فيه من طرد الحبش عن العربية الجنوبية في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي^(٤) ، فصارت قوافل الفرص التجارية ولطائم^(٥) ملوك الحيرة تذهب إلى اليمن وتعود منها من طريق الطائف ، ونغصت بذلك عيش أهل مكة ، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب الفجار^(٦) ، التي كتبت في مضمونها تهديداً للتجار الذين سلكوا هذا الطريق ، كما أن أهل مكة تمكنوا من التغلغل إلى الطائف ومن بسط سلطانهم عليها ، بإقراض مائنتها أموالا وبشراء الأرضين ، فبسطوا بذلك سلطانهم عليها ، أقاموا بها أعمالا اقتصادية خاصة

(١) لعرف ، ص ٩١ .

(٢) بقوت ٩/٤ ، ١٢ ، تاج العروس ١٨٤/١ ، المقننى ١٠٩/٢ ، البكري ٨٨٦/٣ .

(٣) يشير الإخباريون إلى أن أول من سكن الطائف إما هم العماليق ، ثم عليهم عليها قيس بن عيلان بن مضر ، ثم بنو عكر بن صمعة بن معاوية بن بكر هوازن ، ثم اكتسبها منهم تقيف . انظر : المعارف ، ص ٩١ ، تاج العروس ١١٠/٢ .

بينما يزعم آخرون أن الذين سكنوا الطائف بعد العماليق ، إنما هم قوم ثمود قبل ارتحالهم إلى الحجر وولدي لقري ، فيما بين الحجر والشام ، ومن ثم قد ربط أصحاب هذه الرواية نسب التقيفين للثموديين ، الذي نسبهم إلى جد أعلى هو " قسي بن مذبه " ، الذي يجعله بعضهم من " بلاد " ، بينما يجعله البعض الآخر من " هوازن " . انظر : الأغاني ٢٤/٤ ، تاريخ ابن خلدون ٢٤/٢ ، نهاية الأرب للقايني ، ص ١٨٧ وكذا :

Montgomery , J. A , Arabia and the Bible , Philadelphia , 1934 , p. 137.

(٤) محمد يوسف مهراي : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ - ٣٨٩ .

(٥) التلطم هي السراويل تحمل الذهب ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٥٤٣/١٢ - ٥٤٤ .

(٦) عن حرب الفجار ، انظر : البكري ١٥/٢ - ١٦ وكذا نشاء الفراء ١٤٨/٢ - ١٥٠، ١٥٠-١٥٠، ١٥٠-١٥٠ وكذا دراسة حديثة انظر : جبلجبار منسى القمدي : " حروب الفجار " ، المجلد الثامن ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ١٢٤ - ١٤٦ .

ومشتركة . وهكذا استغل أنكباء مكة هذا الوضع المهم وحولوه إلى مكان صار فى حكم التابع لسادات قريش ، أو بمعنى أن تقيف لا تلبث أن تعود إلى الاعتراف بصدارة منافستها قريش، كحليفة لها ^(١) . كما أن اسمها يقترن عادة بمكة المكرمة، فيقال مكة من الطائف ، والطائف من مكة ، ومن ثم فقد تسمينا " القريتين " من قوله تعالى : "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " ^(٢) .

ويبدو أن وحدة للمصالح بين القبيلتين المتحالفتين ، قد انتهت بهم إلى إقتسام النفوذ عشية الدعوة إلى الإسلام ، فكانت لقريش السيطرة المطلقة على تجارة الشام ، بينما كانت الطائف تجارة اليمن ، تتولى مراقبتها والأشراف عليها وذلك فى ظل ههينة عامة للأولى ، لم تقتصر على الطائف فقط ولكنها امتدت حينذاك إلى مختلف الطرق التجارية فى شبه الجزيرة العربية ، ولعل الطائف كانت تتوق إلى الحد من هذه التبعية والارتباط المباشر بالاقتصاد المكي ، حيث الطبيعة هيات لها أسباب المزاحمة مع أندادها القرشيين ، ولكن الدهاء الذى تفوقت به الشخصية النقية ، سقط أمام خبرة هؤلاء وتراثهم القديم فى التجارة .

أما يثرب (المدينة المنورة) ^(٣) ، فهى ثالث مدن الحجاز ، ذات الأهمية ، بالإضافة إلى المراكز الثانوية المنتشرة حولها ، أقيمت جماعات يهودية^(٤)، فامتدّت فى مواضع عيون ماء، كانت صغيرة ولكنها نمت مع الزمن بفضل من استقر فيها من اليهود ، وما قامت به من جهد فى الزراعة والصناعة ، ومن هنا نشأت مراكز عمرانية فى خيبر وواى القرى ، ثم فى فدك إلى الشمال الشرقى من خيبر فى مداخل نجد ^(٥) .

وعلى الرغم من وقوع يثرب فى دائرة طرق التجارة القديمة إلى

(١) جواز على ١٥٣/٤ وكفا :

Lammence , H., La Ville Arabie de Taif a la ville de L' Hegire, Beyrouth, 1922, p.119.

(٢) سورة الفرقان : آه ٣١ .

(٣) عبدالحسن المسبق : المرجع السابق ، ص ١٠٢-١٠١ .

(٤) حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز ، انظر : أحمد محمود صايون : "حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثانى و الأرب عين ، ١٩٩٤ - ١٩٩٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٤٣ .

(٥) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨١ .

الشام، فإن حظها من التجارة الخارجية كان محدوداً ، إذا ما قورنت بمكة ، حيث كان يخالفها عدم الرضا إزاء احتكار الأخيرة لها، ذلك الشعور التفاضلي ، الذي سيطر على العلاقات المستقبلية بين المدينتين مكة ويثرب.

يميل بعض الباحثين إلى إرجاع صلة اليهود بالعرب في الحجاز بصفة عامة ، ويثرب بصفة خاصة ، إلى عهد موغلة في القدم ^(١) ، غير أن يهود شبه الجزيرة العربية لم يتركوا أثراً مكتوباً يتحدث عن ماضيهم فيها ، وكل ما عثر عليه من نصوص معدودة وجدت في اليمن ، لا تفصح عن شيء ذي بال عن اليهود واليهودية ناهيك عن وجودهم بالحجاز ، ذلك لم يذكر أحد من المؤلفين وكتبة بنى إسرائيل شيئاً عن - يهود عصر ما قبل الإسلام في بلاد الحجاز ومن ثم فليس هناك من تاريخ اليهود في شبه الجزيرة العربية بعامة وبلاد الحجاز بخاصة ، إلا ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وكتب الحديث والأخبار والمسير ، فمادتنا عن تاريخ اليهود في موضوع هذا البحث لا ترتقى إلى عهد بعيد عن ظهور الإسلام ^(٢) .

تتضارب آراء الاخباريين حول اليهود في يثرب حيث يذكر أحدهم ^(٣) ، أن هناك قبائل يمنية هاجرت إلى الحجاز منها فخذان من جذام استقرت بعد تهودها في يثرب عند جبلين يحمل كلاهما من القبيلتين - النضير وقرظنة - اسماً لأحدهما ، وذلك دون أن يتعرض صاحب هذا الرأي للقبيلة الثالثة (القينقاع) ، التي اقتتح الرسول - صلى الله عليه وسلم - معها الصراع ما بين الإسلام وبنى إسرائيل في الحجاز في أعقاب معركة بدر الكبرى ^(٤) ، وثمة من يذهب ^(٥) ، إلى أن القبيلة الأخيرة هي نواة اليهود في يثرب " وذلك لما أسنده رزين عن أبي المنذر الشرفي قال: سمعت

(١) زكي شنودة : اليهود ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٦ - ٢٩ وكذا :

لاندو : الإسلام والعرب ، ترجمة منير بطيكي ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٦ .

(٢) جولد على : ٥١٣/٦ .

(٣) البيهقي ، ٤٩/٢ ، ٥٢ .

(٤) ابن الأثير : فكلل في التاريخ ٨٠/٢ ، ٩٦ .

(٥) ابن رست : الإعلان النبوية ، ص ٦٠ ، ٦١ وكذا السهمري : ولاء الرنا ١٥٧/١ ، ١٦٢ .

حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة العسلي ، قال وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من فريش عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، قال : فجمعت حديثه لكثرة اتفاقه وقلة اختلافها ، قالوا : بلغنا انه لما حج موسى ^(١) ، عليه السلام حج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان في انصرافهم أتوا على المدينة ، قرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بنى قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم . ورأى ثالث ^(٢) يرى بأن يهود يثرب يمثلون هجرة لها خلفية سياسية ، وليست دينية ، عندما هربوا من الاضطهاد في فلسطين ، الذي بلغ ذروته في العصر الروماني في القرنين الأول والثاني الميلادى .

ولكى نعرف جنسية اليهود في بلاد العرب ، فإنه من الأفضل أن ننظر في الأخلاق والتقاليد واتجاه الأفكار والأعمال ^(٣) ، فنجد التشابه كبيراً بينهم وبين اليهود السابقين على عصرهم أو نلاحظ مواقف واحدة ، ولولا اختلاف الزمان والمكان والأحداث ما استطاع أحد أن يفرق بينهم .

أيا كانت العلاقة مع الهجرة اليمنية إلى الشمال - خاصة بعد اشتداد صراع العقائد في التولية الحميرية والاضطهاد المتبادل بين أصحابها - يستثنى O'Leary بنى القينقاع ، بإرجاعهم إلى أصل عريبي ^(٤) . كما يعتقد Lammence أن بعض اليهود في الحجاز ، لا سيما "جالية الطائف" كانت نتيجة تلك الحروب الدينية ، التي اتخذت مسرحها آنذاك في اليمن ^(٥) ، بعد أن قُتل الملك الحميري ذي نواس ^(٦) في

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ زمان موسى عليه السلام ، ومخرج بني إسرائيل من مصر ، والمفرعون الذي عاصر موسى ، عليه السلام ، بين أن يكون أحسن الأول أو ولده أمجب الأول أو توت بنع آمون أو رمسيس ثامن أو مونتاج أو في أسرته الأسرة ثامنة عشرة أو أوائل الأسرة العشرين . انظر : محمد يونس مهران : إسرائيل ، الكتاب الأول - التاريخ ، الإسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٣٥١ - ٤٣٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٢٨٩/١ ؛ اليهودي : ولقاء ١٦٠/١ .

(٣) ابن هشام ١٨٣/٢ - ١٩٠ - وكلاهما انظر عن اسلاف اليهود في الحجاز : محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٤٣٨ - ٤٥٣ .

(٤) O'Leary, De Lacy D. D, Arabia before Muhammad, London, 1927, p.173

(٥) Lammence, H., L'Arabie Occidentale avant L'Hejire, 1928, p.54.

(٦) ونسب البعض ان الملك ذو نواس ، هو الهادي بهتم الحرب . قطر :

Winckler, H., "Zur Alten Geschichte Yemens and Abessinians", AOF, IV, 1896, p.327.

تهويد هذه الأخيرة ، الذى كان من نتائجه ما اشتهرت به نجران من الحادثة التى وقعت فيها ، حادثة تعذيب النصارى ، والمعروفة باسم " أصحاب الأخدود" (١) وما جرت إليه من احتلال الحبشة لليمن ، مما أدى إلى إقراغ اليمن من اليهود ، وربما كان الاتجاه نحو الشمال ، هو الخيار الأفضل والطريق الآمن لهؤلاء الهاربين من الاضطهاد .

أما عن العلاقة بين يهود الحجاز واليمن ، فإن التساؤل أنه يبدو شائكا إلى حد ما ، حيث المعطيات التاريخية لا تتوفر بصورة كافية ، ولكن الفصل بين الإقليمين فى تلك المرحلة من التجاذب السياسى والبشرى والعقائدى ، قد لا يتفق وطبيعة تلك التطورات ، التى شهدتها المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية ، منذ بدايات القرن السادس الميلادى ، ولعل أبرز مؤشرات هذه العلاقة ، ما ورد فى المحبر (٢) ، من هجرة يهودية من أرض الحجاز إلى اليمن فى فترة سابقة على حملة الحبشة ، التى يفترض أنها اضطهدت لليهود والمتهودين ودفعت بقسم منهم ، على الأرجح ، نحو الحجاز ، حيث نزلوا فى أحياء خاصة بهم فى يثرب وبعض المراكز الأخرى ، أوفى نطاق " جاليات " تجارية فى المدن المزدهرة كالمطائف ، وتجمعات زراعية فى الواحات الخصبة من هبذا الإقليم (٣) . ما نلاحظ أحد وجوه هذه العلاقة فى فقدان الموقف اليهودى بعض تماسكه فى يثرب من طبيعة أية جماعات مهاجرة من أوطانها بسبب ضائقات اقتصادية كالأوس والخزرج أن تتوحد وتتقرب إلى يهود يثرب ، إلا أن اليهود بعد أن قطعوا التحالف ، فبين اللوئام والاتلاف بين الطرفين بدأ يتغير ويتبدل نحو الأسوأ (٤) حيث يقرر البعض (٥) أن بطون الأوس والخزرج لم تصارع لليهود بالعداوة إلا بعد النكبة التى حلت باليهود

(١) فنشر دراسة عن أصحاب الأخدود :

محمد بيومي مهراي : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) فى بلاد العرب ، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٥٥-٣٦٩ .

(٢) ابن حبيب (ابن حجر عسقلاني بن أحمد بن عمرو الحامى) : كتاب الطبر ، حيدر اباد الدكن ١٩٤٢ ، ص ٣٨٦ .

(٣) السهمودى : وفاء الوفا ١٦٢/١ وكذا :

Lammence , H., op.cit., p.p 67, 96.

(٤) محمد رشيد الضحلى : اليهود فى شبه الجزيرة العربية ، عمان ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٦٤ .

(٥) برتيل ولتسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧ م ، ص ٦١ وكذا :
Grazet, H., The History of the Jews, III , Philadelphia, 1956, p.p. 67, 91, 410.

في اليمن ، إذ لا يتصور أن يضطهد اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملوك متهودون يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم ويناهضون كل من يناهضهم أو يتعدى عليهم ويؤيد ذلك من أن الحجاز الشمالية كانت في شبه تبعية لليمن في عصر وجود حمير المتهودة وأن واحداً من الأسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شئون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز ، ومن ثم فقد بقيت البطون العربية عصوراً طويلاً على موالة ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يتربصون لهم الغوائل إلى أن أخذت عمان⁽¹⁾ تنصب لليهود المكائد وتحرض عليهم زعماء الأوس والخزرج ليفتكوا بهم ، مما أدى إلى إختلال الوضع الداخلي لمصلحة العرب ، وإفصاح المجال أمامهم لتدعيم نفوذهم كقوة أساسية منافسة لهم في المدينة⁽²⁾ . كان من البديهي أن تنعكس سلبيات الهجرة العربية بدورها على موقع اليهود في الحجاز ، حيث كان لهذا الإقليم نصيب غير قليل منها ، فأسهم ذلك في ازدياد الشعور بالعزلة لدى هؤلاء والخوف على مصيرهم القلق ، والتي نعتهم بالثألي إلى الشقاق والافتتال⁽³⁾ .

يبدو التراجع أن يهود اليمن ، الذين وفدوا إلى يثرب والمراكز المجاورة لها ، لا يؤدي حكماً إلى وضوح انتمائهم الأساسي ، الذي يبقى مجرد فرضية ، بأنهم ينحدرون من خارج المنطقة ، حيث ظلوا خلاقاً للتصاري ، جسماً غربياً عنها ، غير منطبعين بحياتها إلا بمقدار ما تفرضه المصلحة الخاصة ، كمحور لعلاقتهم مع القبائل العربية في الحجاز⁽⁴⁾ . ولعل تجربة اليهود في يثرب تعزز هذا الاتجاه ، حول انعدام التأثير أو التأثير مع الآخرين ، بحيث أدى هذا إلى

(1) انظر عن الضماننة : محمد بيومي مهران : رسالت في تاريخ العرب القديم ، ص ٥٦١-٥٧٥ .

(2) السموودي : وفاة لوليا ١٦٦/١ .

(3) لا شك في أن اليهود لم يكونوا متحدين في دولهم السياسية والاجتماعية ، فقد كانوا في شقاق دائم ولم تظهر بينهم الألفة إلا في أيام لبؤس والشدة ، كما أتحد بنو التضير وبنو ربيعة في يوم بعثت ضد عدوهم من بني الخزرج . وفي يوم بعثت كان بنو قينقاع يحاربون إلى جنب صفوف الخزرج ضد أبناء . لتتهم ، وقد بالغ اليهود في قتلهم ، لأن عدوة بني قينقاع لبيعة اليهود قديمة . انظر : محمد رشيد العتيلي : المرجع السابق ، ص ٦٧-٧٠ .

(4) Lamrence,H,op.cit,p.54.

افتقاد احتمالات التعايش فى المجتمع الواحد فقد ظل عرب المدينة من الأوس والخزرج وثنى العقيدة ، شأن القبائل العربية فى الحجاز ، على الرغم من التفوق السكاني ، الذى كان لوقت غير قصير معقوداً لهؤلاء اليهود ^(١) .

وعلى أية حال ، تبقى مسألة يهود الحجاز محاطة بالكثير من الغموض ، دون ثمة ما يشير بجلاء إلى كيفية وصولهم إلى هذه المنطقة أو المصدر الذى قدموا منه ، وإذا ما سلمنا بأنهم وفدوا من فلسطين ، حسب الاعتقاد المطروح ، فقد يكون بتواجدهم فى شمال الحجاز ، أي تخوم الشام ، كان نتيجة عمليات الاضطهاد الروماني ^(٢) ، كما يرجح أن فكرة إقامة الحصون والأطام ^(٣) على قمم الجبال فى شمال بلاد الحجاز إنما أتت بها اليهود من مناطق استقرارهم الأولى ^(٤) ، الذى كثرت فى جباله الحصون المنيعه . وثمة دلالة أخرى لهذه " الأطام " العسكرية ، أن اليهود فى الحجاز ، تفردوا بهذا التقليد الدفاعي ، ربما تحت تأثير الشعور بالخوف الذى دفعهم الى التكتل والعزلة ، فى مناطق كانوا طارئين عليها ولم يطمئنتوا كثيراً الى قبائلهم المجاورة لهم ^(٥) ، حيث عاش اليهود فى احياء وقرى خاصة بهم فى يثرب وما حولها ، كجاليات طارئة على عادة بنى اسرائيل منذ تشردهم فى مختلف الأحياء والبلاد ^(٦) . ويستتج ذلك من كثرة الحصون والأطام ،

(١) السهمودي : وفاء لولا ١/١٦٦ .

(٢) احمد محمود صليون : المرجع السابق ، ص ٢٢١-٢٢٥ .

(٣) الأطلم : من أبنية مرتفعة بنيت بالحجارة ، تظن ابن منظور : لسان العرب ١٢/١٩ .

(٤) يستدل من بداية الحصون والأطام عند اليهود فى بلاد الحجاز أنهم ليسوا عرباً ولا من أصل عربي ، إلا لو كانوا عرباً لكانت لهم فى قبائلهم عزوة ويتصرفون بها على أعتابهم ، ولكن من قبائلهم ليسوا يعززون به ويمتصرونه ، وإنما بنى اليهود هذه الحصون وتلك الأطام ليتجنوا إليها إذا لحز بهم أمر أو أصابهم مكروه ، ولو كانوا من أصل عربي لتمسكوا بقبائلهم وأورا إلى قوتهم ، وما يؤيد ذلك أنه لم يكن لليهود فى يثرب والحجاز عصبه قبلية بين أعرب وإنما كانت صلاتهم بالقبائل العربية صلة حلف ومصالح مشتركة ، ولذلك لم يجدوا بين قبائل العرب من يقف الى جانبهم بدافع انصيابة حين حلويهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - وطرد بعضهم من المدينة وكفى على بعضهم الآخر ، بل أنهم حين خرجوا من المدينة لم يرحلوا إلى الشام . انظر :

أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ وكذا احمد محمود صليون : المرجع السابق ، ص ٢٣١-٢٣٢ . وانظر عن

الأطام " : السيد عبيد منلى " أطوم المدينة المنورة " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثالث ، الرياض ١٣٩٣-١٣٩٤ م / ١٩٧٣-١٩٧٤ م ، ص ٢١٣ - ٢٢٦ .

(٥) السهمودي : وفاء لولا ١/١٦٦ ، وكذا اسرائيل ولتسون : المرجع السابق ، ص ١٦ وكذا :

Lammence,H.,op.cit.p.68 f.

(٦) محمد عزة لروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

التي أقامها اليهود للاحتفاء بها وكانت في الغالب تحمل اسم رجل أو زعيم مهم من رجالات اليهود، أو اسم عشيرة يهودية ^(١) ، أو اسم وادٍ من الأودية التي يحتمون بها ^(٢) ، أو اسم جبل من جبالها ، أو يحمل اسماً له منلوله عند اليهود ^(٣) .

هكذا عاش اليهود في يثرب عبر مجموعات ثلاث ^(٤)، عرفت في التاريخ بالتقابل ، حيث كان بينها من التناقض ما شابه الصراعات القبلية لدى العرب ، ولا شك أن اختلال نفوذهم في يثرب ، كان نتيجة حتمية لاحتدام المضطربة وإخفاقهم في تكوين جبهة سياسية متماسكة ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب ، حيث لبسوا لباسهم وتصاهروا معهم ، فتروج اليهود عريبات وتزوج العرب يهوديات ، ولعل كون بعض اليهود من أصل عربي ، هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعريبات والعكس ، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام هو الاختلاف في الدين ، وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد ^(٥) ، كما أن يهود يثرب وبقية الحجاز الذين أقاموا بين ظهرائي العرب ، لم يعرفوا سوى اللغة العربية لغة يتكلمونها ، لهذا كان من الضروري أن يتعلموا هذه اللغة ، وأن يعتدوها لغة التخاطب ^(٦) ، حتى يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة ، التي اتخذوها دار مقام لهم .

(١) ليراقل ولتسون : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٢) الديلم بكري : تاريخ الخسيس في أحوال القيس ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ، ص ٤٥ .

(٣) ليراقل ولتسون : المرجع السابق ، ص ١١٧ (٥) .

(٤) قريظة والضمير وقينقاع ، ولكن Watt يضيف إليهم قبيلة ربيعة وهي ثعلبة التي لا تدور أن تكون فرطاً من المجموعة الأولى (قريظة) . قطر :

Watt , W.M., Muhammad at Madina, Oxford 1956, p. 96.

(٥) جواد طي ١٣٢٦/١ ، وكذا :

Gratez, H., op.cit., p.p. 58-60 ; Watt , W.M., op.cit. p.297 .

(٦) من المرجح أن هذه اللغة لم تخل من وطأة عربية ، لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العربية تركاً تاماً ، حيث إن اللغة العربية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخطيبهم . قطر :

إبراهيم ولتسون : المرجع السابق ، ص ٢٠ وكذا :

محمد عزة درويزة : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٤٣٦ .

وعلي أية حال ، فقد جاءت هذه المحاولة علي هامش قضيتين أساسيتين في حياة اليهود في الحجاز : الاولى ، مرتبطة بالولاء المصلحي المطلق ، الذي ألغى دور القبيلة كنظام يتعارض والنزعة الفردية المتحكمة في سلوكه الاجتماعي والاقتصادي ، والثانية ، يحركها الشعور الدائم بالخطر ، حيث يعيش في محيط عربي ، للقبيلة فيه نظامها الجماعي ، وقرارها الالزامي من حيث المبدأ ، ولعل ذلك كان وراء النمط الحياتي الخاص الذي فرضه اليهود علي انفسهم ، وفي الحجاز بصفة عامة ويثرب بصفة خاصة وانعكس علي مظاهر التحصين - كما ذكرنا سابقاً - في احياءهم المغلقة والمعروفة بالأطام .

وعلي أية حال ، كل ذلك يفسر القفاد يثرب إلي زعامة بارزة علي مستوي التنافس مع مكة المكرمة ، التي وظفت دورها الديني في خدمة مصالحها الاقتصادية داخل الحجاز وخارجه ، بحيث كان كل من الدورين متلازماً مع الآخر ومكماً له ، ولعل يثرب ، ربما تحت تأثير أهميتها الجغرافية كمحطة علي طريق الشام بعيدة عن مكة المكرمة ، كانت مؤهلة لاحتلال دور الشريك لهذه الأخيرة إن لم يكن المنافس لها ، ولكن انطواء هذه المدينة علي تناقضاتها الداخلية واستمرار اليهود قوة فاصلة لوقت غير قصير ، ربما أعاق اتخاذها اي دور ديني رائد في الحجاز ، وحالا ، بالتالي ، دون قيام مركز يهودي وثني فيها ، وذلك نتيجة لاتعدام التجانس ، سواء في العقيدة أو في المصلحة بين قبائل يثرب .

إن صورة الوضع السكاني خارج المدن أقل وضوحاً ، حيث خضعت للتحرك القبلي المتذبذب حيناً والمتدافع حيناً آخر ، فضلاً عن أخباره المضطربة في كتب الأنساب ، التي تجعل من التتبع لمراكز هذه القبائل وبطونها وأخاذها وعمائرها ودوائر نفوذها أمراً في غاية الصعوبة ، ولا بد أن يعدنا ذلك الي المنظومة التقليدية عن التصنيف المتبع في حصر انساب العرب كلها في أصليين أساسيين قحطان وعدنان ، فإننا نرى القبائل كما يقسم من روايات الإخباريين كتلاً ، تُرجع كل كتلة منها نسبها الي جد قديم تزعم ان قبائلها انحدرت من صلبه^(١).

(١) جوه طي ٤١٤/٤ - ٥٤٠ .

من الواضح ان هذه الأخيرة تمثل بما يسميه علماء الأنساب بالشجرة العدنانية ، مقتصرأ في الغالب علي ذكر القبائل الكبرى الممثلة لقبائل الحجاز البدوية منها والمتحضرة علي السواء^(١) . ومن ثم فإن مكة المكرمة ، استنادا إلي ذلك منطلق الحزب المنحدر من عدنان^(٢) من سلسلة تنتهي باسماعيل بن ابراهيم الخليل - عليهما السلام - ومنه كان نزار بن معد سيد بني أبيه وعظيمهم ، ومقامه بمكة ، وكان له من الولد أربعة : مضر وايد - وربيعه - ولنمار^(٣) ، وكانت مضر محور القبائل العدنانية في الحجاز ، حيث طغت علي بقية الفروع حتي اندماجها في فرع قيس بن عيلان^(٤) ، فحملت اسمه ، الذي اصبح مرادفاً لهذه القبائل وممثلاً لها^(٥) .

ليس الهدف من هذه الدراسة التحدث عن مواضع تقسيم القبائل العربية المألوفة عند الإخباريين ، وتصنيفها جنوبية وشمالية ، وخصوصاً الشمالية ، المعنية بالانتشار السكاني في الحجاز ، ولكننا سنعرض فقط المسميات القبلية ومراكز استقرارها الثابتة والمتحركة في الحجاز، ومن ثم البحث في علاقتها مع المدن الحجازية والمصالح المشتركة بينها ، لا سيما مكة المكرمة ، فالشجرة العدنانية التي يزعم النساجون أنها ملتقى العرب الحجازيين وفروعهم ، يكاد امتدادها التوسلي يقتصر علي مكة المكرمة ، ربما نتيجة للدور الجذري ، الذي تبوأته به

(١) لعل هذا التوزن القبلي وما يتضمنه من تحديد عربي ، لا يتوافق وللنظريات السكانية الحديثة ، التي تراض هذا الانتماء التوسلي في وقت لم تتوقف فيه هجرة القبائل عند حد في التحرك أو التمزج مع بعضها البعض أو مع الآخرين ، ولعل الخلقة السليبية تتخذ دوراً أكثر أهمية في الانتماء القبلي ، ذلك الذي يتلوه بشكل خالص في العصر الأموي ، حيث تكرر الانقسام إلي جزئين كبيرين ، الأمر الذي سرح به بعض التسليين المعروفين إن العرب ثلاث : نزار واليمن وقضاعة ، علي بعد المسافة الزمنية ، التي تجعل من هذه المسألة أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد . انظر : جواد علي ٤/٤٢٠ وكذا محمد عبدالقني سعودي : الجغرافية والمشكلات اللغوية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (١٩٦٠) ص ٥٠-٥١ .

(٢) يقول بعض التسليين أن عشرون لباً بين اسماعيل - عليه السلام - وخيذه عدنان ، وأخر يجعلهم لربيعن . انظر : اليمقوي ١/٢٢٢-٢٢٣ وكذا تاريخ ابن خلدون ٢/٢٩٨ .

(٣) اليمقوي ١/٢٢٣ .

(٤) يتعدد من مضر حسب رواية التسليين : إلياس المعروف بـ عيلان ، ويري اليمقوي أن عيلان هو ابن لكر لمضمر . انظر : اليمقوي ١/٢٢٧ ، انظر عن فرع قيس عيلان بن مضر : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٨-٦٦ .

(٥) يتصل إلياس بقصي زعيم قریش عبر منركة وخزيمة وكتفة والنضر وملك وغالب ولوي وكعب وسرة وكلاب . انظر : اليمقوي ١/٢٢٧-٢٢٨ وكذا تاريخ الطبري ٢/٢٦٨-٢٧٠ وكذا جواد علي ٤/٤٧٦-٤٨١ . وانظر عن فرع إلياس بن مضر : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٩ .

كمنطلق للإسلام.

وإذا صح التكوين القبلي بتفاصيله المضطربة في مكة المكرمة فثمة تكوينات^(١) ، خارج هذه المدينة لا تخضع لقانون ثابت ولا تزال موضع خلاف لدي المؤرخين ، ولعل قضاة^(٢) ، والتي تنسب الي قضاة بن عدنان^(٣) في رأي، لما الأخر فيري أن قضاة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير^(٤) .

وعلي أية حال ، فهي من القبائل الكبيرة في الحجاز التي تجسد عملية التماوج القبلي في هذه المنطقة ، تحت ضغط المتغيرات السياسية والاقتصادية ، التي تعرضت لها في ذلك الوقت، ويبدو أن قضاة كانت إحدى الهجرات اليمنية المرتقة من التجارة والدائرة في فلكتها ، حيث انتشرت علي طريق القوافل^(٥) ، واتخذت أول مراكز نفوذها في ميناء مكة المكرمة حيث يستخدمون هذا الميناء والموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال ومصر أيضاً . ومن المعروف أن قريشاً لم تكن تملك سفناً في البحر الأحمر والأرجح لهم استخدموا سفناً كانت تعمل لحسابهم^(٦) . وهذا قبل أن تمتد قضاة شرقاً إلى الحجاز ووجد وشمالاً نحو الشام ، ذلك أن بعض قبائل قضاة الأصل ، أوردتها للنساجون بين القبائل الحجازية وفي طبيعتها بلي^(٧) ، التي أقامت بجوار نيماء وجبينة^(٨) ، إلى الشرق منها فقد كانت منازلها في نجد ، في الأصل ، وعند ظهور الإسلام كانت تقيم في الحجاز علي مقربة من المدينة بين ساحل البحر الأحمر ووادي القري^(٩) ، أما الثالثة فهي

(١) ذكر الطبري في معجمه : وتزل الحجاز من عرب لند وعين وعطفان وخزارة ومزينة ولهم وعوان وهذيل وخشم وسلول وكلاب بن ربيعة وطى ولند ، ص ٢٢ .

(٢) ابن حزم جبهة لسلب العرب ١ / ٤٤٠ - ٤٦٣ .

منك مشكلة قضاة وحرة النسلين في نسبتها إلى عدنان أو قحطان ، ربما كانت نايلاً علي صحة ما يقوله ابن حزم من ان قضاة قوم من العرب متعديين بالنسب لاني قحطان أو عدنان . نظر : حسن مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٨-٤٣ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١ / ١١٥ نهاية الأرب للكتندي ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٤) اليميني ٢ / ١٢٠١ ابن حزم : جبهة لسلب العرب ٢ / ٤٤٠ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٩ .

(٦) السيد عبدالعزيز سلم : المرجع السابق ، ص ٣٦٣-٣٦٤ .

(٧) بلي بن عمرو بن الحاقن بن قضاة . نظر : صبح الأضي ١ / ٣١٦ .

(٨) جبينة بن ليث بن سود بن لسان بن الحاقن بن قضاة . نظر المصدر نفسه .

(٩) جواد علي ٤٢٥ - ٤٣٠ .

عذرة^(١)، وتقع منازل بني عذرة في أعالي الحجاز في جوار عدد من القبائل المنتمة إلى مجموعة قضاة، وتقع أرضها إلى جوار غطفان، ومن مواضعها وادي القرى وتبوك حتى إيالة، أي إنها إقامة على الطريق التجاري البري الجنوبي - الشمالي، حيث نجد أن عذرة لها علاقات ودية مع مكة^(٢)، على غرار القبائل المقيمة على امتداد هذا الطريق أو بجواره، بعد أن أصبح مصدر ارتزاقهم الرئيسي وثمة قبيلة رابعة، تنسب أيضا إلى قضاة وهي كلب^(٣)، التي انتشرت في جنوب الشام حتى أعالي الحجاز، وذلك بتأثير الدوافع نفسها للتحركات القبلية، في المنطقة، ومع الطموح إلى القيام بدور أشد خطورة، وهو التحكم في نهاية الطريق التجاري وسوقه الكبرى في بصرى^(٤)، التي يلتقي عندها خطا الحجاز والخليج^(٥)، وكانت دومة الجندل^(٦)، حيث مركز هذه القبيلة من أهم الأسواق التجارية بعد بصرى، وتميزت بأنها سوق موسمي كان يومها التجار للتبادل، حيث كان التجار ينزلونها أول يوم من شهر ربيع الأول، يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والتبادل^(٧).

تفرعت من قضاة قبائل سبعة، هي: نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاة، وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن

(١) عذرة بن مزيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. نظر صبح الأضنى ٣١٦/١ - ٣١٧.

(٢) جواد على ٤٣١/٤ - ٤٣٢.

(٣) كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة. نظر:

صبح الأضنى ٣١٦/١ نهاية الأرب للقلندي، ص ٣٦٥.

(٤) يزيد زكريا بصرى في كتبه من شمار العرب في الجاهلية، وكنت بصرى مدينة شديدة الحصانة والمنعة، لتعود بوظيفتها كمركز ومحرس لبلاد الشام، وكنت تواف المحطة لتجارية الإخوة لقرن قريش، والسوق الكبرى للبلاد بالنسبة للحجاز، كما كانت تشتهر بسلعتها ودروعها، وكنت أسواق بصرى تمتد خارج سورها، وقد قصدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو سفير مع عمه أبو طالب، ليام تشتغله بالتجارة في قشلم. نظر: ابن هشام ١١٢/١ وكذا السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٥) لويس لرشيد: القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة لحمد محمد عيسى، ومراجعة محمد شفيق غريمال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٦.

(٦) أدوماتو، وفي التوراة دومة، وفي جغرافية بطليموس (Dumatha) Adomatho، لها في المصادر العربية اسم دومة الجندل، نسبة إلى قوم (أو دومان أو دوما) ابن إسماعيل ابن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وهي الآن في الجوف. نظر ياقوت ٤٦٨/٢ - ٤٨٧؛ البكري ٥٦٥/٢؛ لويس موريل: شمال الحجاز، ترجمة لآلكنور عبد المحسن الضبي، الإسكندرية ١٩٥٢، ص ٦٧.

(٧) جواد على ٣٣١/٧.

قضاة ، وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ،
وسليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وكلب بن وبره بن تغلب بن
حلوان ، وتتوخ وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبره بن تغلب بن حلوان ،
فهذه جماهير قضاة (١) .

إن أكثرها شهرة تلك التي مر ذكرها حيث تعايش بعضها مع اليهود في
وادي القرى كبنى جهينة ، والأخرى امتدت على طريق الشام ، فضلاً عن
مجاورته للاثنتين معاً ، كبنى عذرة ، والذين توغلوا في أعالي الحجاز حتى جنوبي
الشام ، كبنى كلب ، وهذه التكوينات القبلية سواء كانت هجرة يمنية (٢) ، غير بعيدة
العهد ، حيث تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم من ديارهم بسبب سيل العرم (٣) ،
أو أنها انتسبت إلى الشجرة العدنانية ، فيما يزعم النسابون ، ابن نزار بن معد بن
عدنان ، وكان نزار يكنى أبا قضاة (٤) .

يتضح أن مواقع نزول القبائل ، ربما أدى إلى كشف نمط حياتها الذي
كان أقرب إلى الاستقرار منه إلى التنقل من مكان لآخر ، وهذا يعني أن مصادر
عيشها ارتبطت عضوياً بأنظمة مستقرة من الناحية الاقتصادية ، سواء في محطات
ثابتة على الطريق التجاري التقليدي ، أو في المناطق الزراعية التي أقامها اليهود في
يثرب ومجاورتها .

تعد قبيلة جذام ، التي تنسب إلى عمرو بن عدى بن الحارث بن مرة ،
وكانت ديارهم حوالى أيلة من أول أعمال الحجاز إلى ينبع من أطراف يثرب ،
وكانت لهم ريادة في معان وما حولها من أرض الشام (٥) ، وهي من القبائل
اليمنية ، والتي كان لها تأثير في الحياة السياسية والاقتصادية بالحجاز .

(١) البيهقي ٢٠٢/١ - ٢٠٣ .

وردت ضد التتخذى مع شيء من الاختلاف : بلى ، جبيلة ، كلب ، طرة ، بهراء ، نهد ، جرم . انظر :

دبلة الأرب للتتخذى ، ص ١٧٠-١٧٢ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٥٦ ، ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) البيهقي ٢٠١/١ ، ٢٠٣ .

(٣) انظر عن سيل العرم : محمد بيومي مهران : دراست تاريخية من القرآن الكريم (١) في بلاد العرب ، ص ٢٤٧ - ٢٥٢ .

(٤) البيهقي ٢٠٢/١ .

(٥) البيهقي ٢٠٢/١ ، دبلة الأرب للتتخذى ص ١٩١ - ١٩٢ وكذا جواد على ٤٦٢/٤ - ٤٦٣ .

أما عن القبائل العدنانية^(١) ، فى الحجاز ، فهى مضر بن نزار وقيس ابن عيلان^(٢) ، وتتصدر بنى مضر قبيلة كنانة ، التى تنسب إلى مدركة بن إلياس ابن مضر^(٣) ، وإليها انتسبت قريش ، وتليها هذيل ، والتى تنسب إلى مدركة بن إلياس بن مضر^(٤) ، والتى كانت ديارها بجبال السروات ، وسرااتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن مياه فى أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة^(٥) .

أما التى تتصدر قيس ، فهى قبيلة غطفان^(٦) ، والتى تنسب إلى سعد بن قيس بن عيلان وألحى تفرعت بدورها إلى ثلاثة قبائل : أشجع وعيس وذيبيان^(٧) ، وتقع منازلهم شرقى خيبر وحدود الحجاز إلى جبل طى^(٨) ، ثم انتشرت بعد تفرعها ، حيث أشجع ، مابين ضواحي يثرب ، أما عيس فقد كانت إلى الشمال الغربى من أشجع ، أما الأخيرة ، ذيبيان ، فقد كانت فى وادى القرى ونجد^(٩) ، وبين هذه الأخيرة تفرعت منها فزارة ، التى كانت على عداوة تقليدية مع عيس^(١٠) ، وتقع مواطن فزارة بنجد ويوادي القرى ، انتشروا بعد ذلك فى مواطن أخرى^(١١) .

(١) انظر عن نسب عدنان : للمعارف ص ٦٣ .

(٢) يرى بعض النسابة انه ابن آخر لمضر ، ولحق بجملة حفيد له . انظر : البقيرى ٢٢٦/١ - ٢٢٧ - البلاخرى : نسب الأشراف ٢٢/١ ، نهاية الأرب للشمسدى ، ٣٦٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ٢٦٦/٢ ، نهاية الأرب للشمسدى ، ص ٣٦٦ .

(٤) نهاية الأرب للشمسدى ، ص ٣٨٧ .

(٥) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٦) هى قبيلة كبيرة معروفة ، وهناك قبيلة أخرى تسمى بـ (غطفان) ، كذلك ، وهى بمثابة ، تنسب إلى غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذلم . انظر : جواد على ٥٠٨/٤ .

(٧) البلاخرى : نسب الأشراف ٤٤٢/١ ، نهاية الأرب للشمسدى ، ص ٣٤٨ .

(٨) جواد على ٤٧٦/٤ .

(٩) شيبلى : الروض الأثرف ١٢٣/١ .

(١٠) قتلت بينهما الحرب الشهيرة بـ " دلمس والبراء " ، ولتى وقعت بين عيس وذيبيان ، وكفت الحرب بينهما سجالاً وتنتهت بصلح ، ودلص والبراء أسماء قرشية لقبى بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب على أيام المريب وذى حصاء واليسرية واليهامة وقروق وطمن . انظر : نهاية الأرب للشمسدى ، ص ٤٠٥ (٣) جواد على ٥١١/٤ وكذا سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

(١١) تشتعت فزارة إلى خمسة فروع وهى : عدى ، ظالم ، شمع ، ملزق ، سعد ، وهذه الأخيرة يشار إليها جواد على بـ مرة ، التى ينسبها للشمسدى إلى هذه القبيلة . انظر نهاية الأرب للشمسدى : ص ٢٦١ - ٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٦٨ وكذا جواد على ٥١٢/٤ - ٥١٣ .

هناك من القبائل التي تنتسب إلى قيس بن عيلان ، قبيلة بنو سليم ، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ، وقد كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر ، حيث منازلهم حرة سليم وحرة النار ووادي القرى وتيماء ، وهي أرض شديدة الخصوبة وكثيرة معاننها ، وكانوا على صلوات حسنة باليهود ، كما كانوا على صلوات وثيقة بقريش ، وقد تحالف معهم أشرف مكة وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة ^(١) ، وينسب إلى هذه القبيلة بنو زغبة (زغب) ، وهي بطن من بهته من بنو سليم العدنانية ، وهم بنو زغب بن مالك ابن بهته ، وكانت نيارهم بين الحرمين ، مكة ويثرب ، ثم انتقلوا إلى المغرب فسكنوا شمال أفريقيا ^(٢) .

أما الثانية ، فقد كانت قبيلة بني هوزان ، وهي بطن من قيس عيلان العدنانية ، وهم بنو هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان ^(٣) ، وقد توقفت على الاولى ، من حيث للشهرة والكثافة في عددها ومدى انتشارها ، حيث اقامت في نقاط عدة متفاوتة الأهمية على تخوم نجد واليمن ، فضلاً عن مركزها الرئيسي في نواحي الطائف ، ولقد أعطتها هذا الموقع الوسط على مقربة من قبائل ذات نفوذ كبير مثل قريش وتقيف وكنانة ، دوراً غير هامشي في الأحداث التي مرت بالحجاز ، التي سبقت الإسلام. أو التي عاصرت بداياته الاولى ، فتمه أخبار عن حروب تقيف ، حيث نجد تقيفاً تهاجم فيها في الطائف ، فتضطر عندئذ للدفاع عنها ^(٤) ، ربما كان محورها الصراع على النفوذ في هذه المنطقة الحساسة التي وصفت بأنها قلب شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت ، ولكن محاولات قبيلة هوزان آلت إلى فشل وهزيمة ، وإلى اعتراف بسيادة قريش وتحالفها مع تقيف ، ومن ثم إلى ارتباط بشبكة المصالح القرشية ، التي تركت المشرك ^(٥) .

(١) نهلة الأرب للتعندي من ٢٧١ - ٢٧٢ ، السهولي : ولاء الروا ١٩٨/١ ، صبح الأضى ١/٢٤٥ - ٢٤٦ ، جواد على ٥١٨/٤ .

(٢) نهلة الأرب للتعندي ، من ٢٥١ وكذا سعد زغول عبدالصيد : المرجع السابق ، من ٢٦٦ .

(٣) نهلة الأرب للتعندي ، من ٣٩١ .

(٤) ابن الأثير : التلخيص ١/٥٨٨ ، السهولي : فروض الألف ١/٢١٠ ، صبح الأضى ١/٢٤٦ ، جواد على ٥١٧ .

(٥) Lammence, H., La Mecque a La Veille de L'Hegire, Beyrouth, 1924, p.177.

أما الأخيرة ، فقد كانت قبيلة بنى عامر ، التي تنسب إلى عامر بن هلال بن صعصعة ، وهم بطن من هوازن العدنانية ^(١) ، ولقد ذهب رأى ^(٢) ، إلى احتمال كون بنى عامر هم (Hamirei) , (Hamirou) , (Hamirinoel) ، وتقع منازلهم بين منازل قبائل هوازن وتقيف ، ولهم مع القبائل الأخرى حروب عديدة ^(٣) .

بالإضافة إلى ما سبق ، فهناك ثمة قبائل أخرى عدنانية قد لا يكون تتبعها في مراكزها المتحركة على جانب من السهولة خاصة ، وأن فروعها الرئيسية الثلاثة وهي : مضر وقيس وربيعة ، المنتشرة بدورها إلى مجموعات متداخلة حيناً ومتباعدة حيناً. آخر وربما أفقنت القبيلة وحتتها بعد أن نأى العهد بين الأصل والفروع منها .

إن للمحاولة من الدراسة السابقة ، لا نقصد بها التعرف على أسباب القبائل في الحجاز ، بقدر ما نقصد من ذلك ، الاهتمام بالتعرف على مناطق التحركات القبلية في البادية ، خارج المناطق الحضرية ، كما يهمننا الوقوف ، من ناحية أخرى ، على العلاقة بين البادية والحضر ، ومدى التأثير الذي مارسه إكللاً منهما في الحياة السياسية والاقتصادية في الحجاز ، والتي كانت مكة المكرمة توجهها في ذلك الوقت ، حيث كانت زعيمة لقبائل العرب فسى وسائل التجارة والدين قبل ظهور الإسلام ، لم أظهر رجالها من كياسة ومهارة ضمننت لهم الاستمرار لهذا التميز ، وعلى أيديهم تفتحت واتسعت آفاق عصر جديد فسى تاريخ التجارة فسى شبه الجزيرة العربية ، حيث كانت التجارة فسى شبه الجزيرة العربية تقتصر على عدد من الأسواق الداخلة تبدأ عند هجر والمُشَقَّر على ساحل الخليج وتوالى بعد ذلك فسى نسق من موضع إلى موضع من شرقى الجزيرة إلى جنوبها حتى عدن ، ثم تصعد إلى مكة المكرمة .

هناك تجمعات قبلية أخرى ، أقل أهمية ، حيث كانت لها إقامة كاملة

(١) نهاية الأرب للفتنسى ، ص ٣٠١ .

(٢) نهاية الأرب للفتنسى ، ص ٣٠١ وكذا جولد على ٥٢٠/٤ .

(3) Ency. Of Islam, I , 329.

أو متفرعة على طول الحجاز وعرضه ، وعلى تخومه ، ومن هذه القبائل ، كانت
 عنزة ^(١) ، والتي تعد من القبائل العربية الكبيرة ، ولها بطون عديدة في الحجاز ،
 حيث استقر نفوذها جهات خيبر ^(٢) ، أما قبيلة عبد القيس ^(٣) ، فقد امتدت ما بين
 تهامة والبحرين عبر اليمامة ، حيث اتصلت على الأرجح بتجارة الخليج ، التي
 كانت تنتقل عن هذا الطريق إلى مكة المكرمة ^(٤) ، أما الثالثة فقد كانت بكر بن
 وائل ^(٥) ، والتي انتقلت من تهامة إلى شرقي شبه الجزيرة العربية وغربي الفرات
 في العراق ^(٦) ، أما الأخرى فقد كانت بنو حنيفة ^(٧) ، وهي من بكر بن وائل من
 العدنانية ، وكانت منازلهم اليمامة ، التي كان من الصعب فصلها جغرافياً أو قبلياً
 عن إقليم الحجاز ^(٨) ، ولا سيما في تلك المرحلة التي يمكن تسميتها بالعصر الذهبي
 الأول للحجاز ، فقد توثقت عرى الاتصال وتداخلت المصالح بين مكة المكرمة ،
 والنقطة المركزية في شبه الجزيرة العربية وبين هذه الأطراف المتشابكة معها ،
 سواء تهامة في الغرب أو اليمامة في الشرق ، ولعل ذلك يتفق مع عبارة البعض :
 " وديار العرب هي الحجاز التي تشمل على مكة والمدينة واليمامة ومخالفها ونجد
 والحجاز المتصل بالبحرين " ^(٩) ، وبالنسبة لقبيلة بنو حنيفة ، فقد سيطرت على
 مرافق اليمامة الحضرية منها والبدوية ، حيث يرى فيها أحد الباحثين ^(١٠) : أنها
 كانت دولة عربية أو مملكة ^(١١) ولياً ما كان الأمر ، فإن المواقع الذي نزلت به بنو

(١) عنزة بن لؤين ربيعة - نظر البلاذري : تصانيف الاشراف ١٢٠/١ جواد على ٤٨٢/٤ .

(٢) نهاية الأرب للقسندى ، ص ٣٤١ .

(٣) عبد القيس بن القيس بن دحس بن جديلة بن لؤين ربيعة بن لؤين المشيرة . نظر :

ابن حزم : جمهرة تصانيف العرب ٤٦٩/٢ .

(٤) نهاية الأرب للقسندى ، ص ٣٠٧ .

(٥) ابن قسطل بن هب بن قيس بن دحس بن جديلة بن لؤين ربيعة بن لؤين بن معد بن عدنان . نظر :

نهاية الأرب للقسندى ، ص ١٦٩ .

(٦) جواد على ٤٨٤/٤ - ٤٨٧ .

(٧) ابن لحيمة بن سعب بن علي بن بكر بن وائل . نظر : نهاية الأرب للقسندى ، ص ٢٢٣ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٨٠ .

(٩) ابن الجوزي : تاريخ المستعصر ٣٩/١ .

(١٠) رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .

(١١) يرى البعض أنها كتبت على عرل دول الأثراف (التسلسل والملازمة) وكلفت لها علاقاتها بالقوس وبإشارة الحيرة الخصبة .

نظر : سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ - ٥٩٧ .

حنيفة ، كان على جانب كبير من الأهمية ، يؤهلها لـدور تجارى بارز قد لا يختلف كثيراً عن الدور الذى شغلته تعمر ، فهى من جهة تطل على تجارة الخليج العربى ، حيث يبدأ الطريق من الحجر ^(١) ثم اليمامة مراراً بمكة المكرمة ^(٢) . ولقد كانت الحجر تتصل شرقاً بالبحرين حيث بنى تميم ، وجنوباً بأطراف اليمن والحجاز ، وشرقاً وبالرّض نجد ، كما إنها كانت كلها بلاد نخل وزرع ، الأمر الذى أعطاهما ذلك الطابع المتجاذب بين البداوة والاستقرار ^(٣) .

وهكذا تبدو اللوحة القبلية فى الحجاز متناسقة الخطوط ومنتقاة الألوان ، إن لم يكن فى منحدرات أصولها ذات التشعب الفطرى الواسع ، ولكن فى ظروفها الجغرافية والاقتصادية المتشابهة ، بحيث لا نجد تبايناً كبيراً بين ما هو شائع عن وجود نمطين مختلفين تماماً فى المجتمع الحجازى ، أحدهما حضرى والآخر بدوى ، وإذا كان لابد من الاعتراف بوجود نماذج أكثر تطوراً فى المدن المعروفة ، فإن ذلك لا ينفى وجود نماذج أخرى ، تقرب منها أو تنقضى معها ، عند حد معين ، من ذهنية عامة مشتركة ، كنظام إجتماعى متقارب .

ولم تكن البداوة الحجازية فى مطلق الأحوال إلا مظهراً لنظام حياتى ، فرضته البيئة بشتى ظروفها ، حيث إنها تكون مرادفة للتخلف ، مذاقصة للتخضر الذى يتلازم و الاستقرار فى المدن ، حسب المفهوم السائد لهذه الكلمة ، فلا بد أن يصتدم ذلك مع تغلب البداوة فى شبه الجزيرة العربية وتطور أنظمتها ، التى أخذت تتبلور فى هذا الإتجاه منذ القرن السادس الميلادى ، حيث شهد المغرب صعوداً

(١) مدائن صالح ، تقع على مسافة ١٥ كيلومتر إلى الشمال من مدينة العلا الحالية ، على الطريق لتجارى الهام الذى يربط جنوب شبه الجزيرة العربية بسوريا . انظر : عبد الرحمن الأماصرى ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) جولد على ٣٤٤/٧ .

(٣) زكريا بن محمد القزوينى : نثر البلاد ولغز العباد ، تصليف زكريا بن محمد القزوينى ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠م / ١٩٦٠م ، ص ١٣٦ وكذا خليل إسماعيل محمد : تطور الفكر الجغرافى عند المسلمين ، مجلة البلاغ ، المندى السادس ، ١٩٦٦م ، ص ٤٠ وكذا سعد زغلول عبد الصمد : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

للبدواء تزامن مع صعودها الشمالي (١) ، في الوقت الذي يفترض أن هذه المرحلة من التخلف قد تجاوزت نفسها ، استناداً إلى المفهوم نفسه .

إن قريشاً في مجموعها كانت قبيلة ناجحة وسط القبائل عرفت كيف تهيء لنفسها مكاناً صدرأ بين القبائل في شبه الجزيرة العربية كلها قبل الإسلام ، وكان نظامها الداخلي يجمع بين النظام القبلي وبعض خصائص الحضرة ، وقد أفاد القرشيون من النظام القبلي وما تأتي عن إستقراهم في مكة من خصائص الحضرة ، وعرفوا كيف يسوسون بلادهم ويقومون بمسؤولياتهم تجاه التجارة وتجاه الكعبة ، وأفادوا من الوجهين أكثر الفائدة (٢) .

وهكذا تصبح قبائل شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وكانها ولايات ترتبط بشئ من المركزية مع مكة المكرمة ، عاصمة بلاد الحجاز المزدهرة ، دون أن تكون معزولة في خيامها البائسة لو علي ارتحال دائم بحثاً عن الكلأ والماء في الصحراء المجدية ، لقد كانت خلافاً لذلك ، تعيش علي أبواب حضارات قديمة ، تطل عليها من نقاط وجودها شبه الدائمة و المستقرة ، أما علاقتها بمكة المكرمة ، فلم تكن ذات مضمون احتكاري حسب اعتقاد Lammence (٣) ، ولكنها ارتبطت معها بمواثيق ومعاهدات تجارية ولمنية (٤) التي كانت تعبيراً ملحاً عن الحاجة المتبادلة بين الطرفين ، فجميع هذه المؤشرات صبت دون ريب في أهمية الدور الذي مثله القبائل البدوية في الحجاز وتوابعه، ذلك الدور الذي تبلورت مع حركة الفتح الإسلامية، حيث هؤلاء البدو ، مادة الأكثرية من الجند ، التي رافقت الطلائع المبكرة لهذه الجيوش من مسلمي المدن الحجازية (٥) .

(١) رضوان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(3) Lammence , H. La Republique Marchande De La Mecque , Beyrouth, P.P. 52,54.

(٤) فقد عقدت قريش معاهداً مع لواء العرب في شبه الجزيرة العربية مع شيوخ لاس ولؤلؤ اليمن ولواء اليمامة وطوك عمان والحيرة ، وكنت هذه المعاهدات تسجل في مهلق وصحف لو علي الأديم . أنظر : السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٥) خالد طه الهلثمي : " خالد بن الوليد " ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٢٣٤ هـ ، ص ١٦٥٤ وكذا صالح لعمد العلي :

مخاضات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ١٢٢ .

ومن الواضح أن مكة المكرمة ، بحكم موقعها فى طريق تجارة الطيب والغلال وأنواع الأقمشة ، والتي كانت تجارتها تشهد نمواً مستزائداً فى ذلك الحين ، ومن ثم فقد كانت ذات مركز استراتيجى ممتاز ، حيث استطاعت أن تمسك بزمام الأمور فى المنطقة المحيطة بها سواء فى تهامة أو نجد ، فضلاً عن الحجاز واليمامة وأن تهيب الأرض الخصبة لتأصيل علاقاتها مع تلك القبائل ، خاصة الدائرة فى فلك نفوذها المباشر ، وذلك على امتداد خطوط رئيسية أو فرعية ، تجمعت حولها مصالح دول كبرى (١) ، لم تكثف بالضرورة عند حدود المتاجرة بالسلع ولكنها صدرت معها الأفكار والمعتقد والنظم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ووهم بعض المؤرخين فى إدارج مكة من أراج القبائل من أحياء العرب ، وحسب آخرون أنها كانت نزلة يمضى عليها بما يمضى على نزل العرب وقراهم فى أفانق شبه الجزيرة العربية ، ولكن شيئاً من الاستقراء ينتهى بنا إلى غير هذه النتيجة ، فالقرآن الكريم سماها فى أكثر من مرة " أم القرى " ، وفى هذا ما يشير إلى ميزتها فى مستوى من حولها من منازل شبه الجزيرة العربية (٢) .

(١) إن إقبال بوزلطة لتتدود وتهاقها على منتجات الهند والصين ، لم تصرفهم عن الإلتفاتة بقروشيين كوسطاء للتجارة الهندية . انظر :

السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) أحمد الصباغى : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً ، المصادر والمراجع العربية :

- (١) ابن الأثير (أبو الحسن بن علي بن الكرم محمد الشيباني) : الكامل في التاريخ ، الجزءان الأول والثاني ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٢) ابن الكلبي (أبو المنذر بن هشام بن محمد بن المائب الكلبي) : كتاب الأصنام ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- (٣) ابن المجاور (يوسف بن يعقوب) : تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥١ .
- (٤) ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي) : كتاب المحبر ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٢ .
- (٥) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) : جمهرة أنساب العرب ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، الجزءان الأول والثاني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٦) ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض ، بيروت ١٩٦٣ م .
- (٧) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٨) ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩٢ م .
- (٩) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : المعارف ، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .
- (١٠) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، المجلد الثاني عشر ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (١١) ابن هشام (أبو محمد عبد الله بن أيوب الحميري) : السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الجزءان الأول والثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون) .

- (١٢) إحسان عباس : " العلاقات التجارية بين مكة والشام حتى بدايات الفتح الإسلامي " ،
مجلة الأبحاث ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ١٩٩٠ م .
- (١٣) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- (١٤) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة
الثقافي ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (١٥) أحمد محمود صابون : " حول تاريخ اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة
الإسكندرية ، المجلد الثاني والأربعين ، ١٩٩٤ - ١٩٩٥ م .
- (١٦) ————— : مكة المكرمة ، أسماؤها وتاريخها ، الإسكندرية ١٩٩٥ م .
- (١٧) إسرائيل ولقنمون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .
- (١٨) الأصفهانى (أبو الفرج علي بن الهيثم) : الأغاني ، الجزء الرابع ، بيروت ١٩٥٦ م .
- (١٩) الأزرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى) : أخبار مكة وما جاء فيها
من الآثار ، تحقيق رشدي الصلح محسن ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، مطبع
دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- (٢٠) البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد
والمواضع ، عارض بمخطوطات القاهرة ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، جزءان ، عالم
الكتب ، بيروت (بدون) .
- (٢١) البلاذري (أحمد بن يحيى) : أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد
حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- (٢٢) الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، الجزء الثاني ، للقاهرة
١٣٠٢ هـ .
- (٢٣) الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد) : تاج العروس ، الجزء الأول والثاني ،
مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- (٢٤) السمهودى (نور الدين على) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، الجزء الأول ،
القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- (٢٥) السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله) : الروض الآنف ، القاهرة ١٩٧١ م .
- (٢٦) السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ماقبل

- الإسلام ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .
- (٢٧) السيد عبيد مننى : " أطوم المدينة المنورة " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثالث ، الرياض ١٣٩٣ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م .
- (٢٨) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) : تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ، الجزءان الأول والثانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار سويدان ، بيروت ١٣٨٧ - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م .
- (٢٩) الفاسى (أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، الجزء الثانى ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٣٠) القلقشندى (أبى العباس أحمد بن على أحمد بن عبد الله القلقشندى) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩١٣ م .
- (٣١) _____ : نهائية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٣٢) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٥ م .
- (٣٣) المقنسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، لندن ١٩٠٦ م .
- (٣٤) الهمذانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل ، جزءان :
الأول : تحقيق محمد بن على الأكوخ ، للقاهرة ١٩٦٣ م .
الثانى : تحقيق محمد بن على الأكوخ ، للقاهرة ١٩٦٦ م .
- (٣٥) اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر) : تاريخ لليعقوبى ، مجلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٣٦) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الأجزاء :
الأول : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ .
الرابع : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ .
السادس : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ .
السابع : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧١ .

- (٣٧) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
- (٣٨) خالد طه الهاشمي : "خالد بن الوليد" ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٣٣٤هـ .
- (٣٩) خليل إسماعيل محمد : "تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين" ، مجلة البلاغ ، العدد الثالث ، ١٩٦٦ م .
- (٤٠) رضا جواد الهاشمي : "تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم" ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .
- (٤١) رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٨٤ م .
- (٤٢) زكريا بن محمد القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد : تصنيف زكريا بن محمد القزويني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م .
- (٤٣) زكي شنودة : اليهود ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- (٤٤) سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٦ م .
- (٤٥) صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩ م .
- (٤٦) عباس محمود العقاد : مطلع النور - أو طوابع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- (٤٧) عبد الجبار منفي العبيدي : "حروب الفجار : أسبابها ونتائجها" ، المؤرخ العربي ، العدد العاشر بغداد ١٩٧٩ م .
- (٤٨) عبد الرحمن الأنصاري : "لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية" ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .
- (٤٩) عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلم العلماء والأعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز أحمد الرفاعي ود.عبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .
- (٥٠) عبد المحسن الحسيني : "الأقسام الجغرافية لشبه جزيرة للعرب ، كما تصورهما المصادر العربية" ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م .

(٥١) عبد المنعم عبد الحلیم سید : " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المجلد الثانى ، جدة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٥٢) لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .

(٥٣) محمد الطيب النجار : " أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام " ، مؤتمر قنسية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، القاهرة ٢٣ - ٢٥ ربيع أول ١٤٠٨ هـ / ١٥ - ١٧ نوفمبر ١٩٨٧ م .

(٥٤) محمد بيومى مهران : إسرائيل ، الكتاب الأول - للتاريخ ، الإسكندرية ١٩٧٨ م .

(٥٥) ————— : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثانية ، الرياض ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

(٥٦) ————— : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) ، فى بلاد العرب ، الرياض ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٥٧) محمد رشيد العقيلي : اليهود فى شبه الجزيرة العربية ، عمان ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .

(٥٨) محمد عبد القنى سعودى : الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت (بدون) .

(٥٩) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

(٦٠) منذر البكر : " العرب والتجارة الدولية منذ أتم العصور إلى نهاية العصر الرومانى " ، المرصد ، العدد ٤ ، السنة الثالثة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

(٦١) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموى) : معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، بيروت ١٩٦٨ م .

ثانياً : المترجمة إلى اللغة العربية

(٦٢) الويس موسى : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسينى ، الإسكندرية ١٩٥٢ م .

(٦٣) لانتو : الإسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكي ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٦٤) لويس أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

ثالثاً ، الأجنبية :

- (65) The Encyclopedia of Islam , New Edition , edited by Lewis C.H., Pellat J., Schacht , Leidene J., Brill – London Luzae and Co., 1960 .
- (66) Gibbon, E., The Decline and Fall of the Roman Empire , London, 1950 .
- (67) Gractez, H., The History of the Jews, III, Philadelphia, 1956 .
- (68) Huzayyin, S.A., Arabia and the Far East, Cairo, 1942.
- (69) Lammence , H., L'Arabie Occidentale avant L'Hegire, Beyrouth, 1928 .
- (70) _____ , La Mecque a la Veille de L'Hegire, Beyrouth , 1928.
- (71) _____ , La Republique Merchande de la Mecque, Beyrouth , 1910 .
- (72) _____ , La Ville Arabe de Taif a la Veille de L'Hegire, Beyrouth , 1922 .
- (73) Montgomery, J.A., Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934 .
- (74) O'Leary, De Lacy, D.D., Arabia before Muhammad, London, 1927 .
- (75) Osman, R., Rock Inscriptions in the Hijaz, Cairo, 1948 .
- (76) Watt, W.M., Muhammad at Mecca, Oxford, 1953 .
- (77) _____ , Muhammad at Madina, Oxford, 1956 .
- (78) Winckler, H., " Zur Alten Geschichte Yemens and Abessiniens " , AOF, IV, 1896 .